بقلم : محمد نبيل الغريب

تقديم : محمود تيمور

تصور لنا هذه القصة ، بيتا عتيقا ، غامضا ، هو لغز كبير راقد فى عظمة الأسد، يسد نهاية الدرب ، ناحية الشرق ، مرســـوم على بابه كفان حمراوان ، والناس جميعا يخشون لعنته ، ويشعرون نحوه بالخوف والرهبـــة . وبين هـذا البيت والدرب تفصل رقعة واسعة من الوحل المملوء بالزجاج والأشواك ، فما يستطيـع الأهلون الوصول اليه الا بعد أن يخوضوا تلك الأوحال المتراكمـــة ، وأن تمضغ أضراسها الزجاجية الشائكة أرجلهم الحافية . وما يزال البيت محوطا بخفاياه حتى يستقر عزم الجيل الصاعد على أن يقتحموه ، ويعملوا فيه معاول الهدم والتدمير ، لكى يتاح للهواء المتجدد أن ينطلق ، وللنور الفيـــاض أن يعم ، وللبركة الموحلة أن تجف ، فتشيع فى الدرب حياة جديدة خالصة من الأكدار والمخاوف والأوهام .

وصورة البيت تعيد الى الأذهان صـــور البيوت أو الحصون من تراث عصر المماليك وأجزاء القصة جميعا رموز الى معان وأشياء ، فظلام الدرب وقماءة بيوته رمز لحياة المجتمع الغابر بما فيه من عسف واضطهاد ، والبيت رمز للأوضـــاع الجاثمة على المجتمع ، تلك التى كانت تحجب عنه الهواء والنور ، والبركة الموحلة رمز للقيود التى كانت تعترض الشعب وتحول بينه وبين الحرية والانطلاق. وصورة الكفين على الباب رمز للأوهـام التى استبدت بالأهلـــين وهيمنت على مشـــاعرهم وحملتهم على الاستسلام للأمر الواقع المرير . أما أولئك الأبنـــاء الذين ثاروا على البيت الأجرب فهدموه ، وعلى الكفين فطمسوهما ، فهم رمز اليقظة القومية والوعى الاصلاحى الجديد .

وان محاولة تصوير الانتفاضة الوطنية فى هذا الاطار الرمزى لهى محـــاولة موفورة الحظ من التوفيق ، اذ استطاع الكاتب الأديب أن ينقل الينـــا صورة من الحياة فى المجتمع المغلوب على أمره ، ويرينا كيف تولدت فيه عوامل الثورة والانتفاض على الجمود والاستخذاء ، حتى يتسنى لأهله أن يظفروا بحقهم فى بحبوحة النـــور والهواء .

وكاتب هذه القصة ، لم يسبق له أن نشر شيئا مما أعده من قصص حوتهـا مجموعة له ، تحت « الخرساء » ، وهى مخطوطة تنتظر الفرصة السانحة للظهور .

ولى بعد هذا دعاء ، ورجاء :

دعاء للكاتب الشاب أن يطرد توفيقه ، وأن تنمو تجاربه القصصية الفنية على الأيام ...

ورجاء لباكورته الطيبة هذه ، أن تجد سبيلها ميسورا الى جمهور القراء .

محمود تيمور

عندما تشرق الشمس

ليس عجيبـــا أن يكون ذلك الدرب النحيف الأفعوانى مظلما ، وأن البيوت تتزاحم على جانبيه كالأقزام المتخمة ، المتطلعة الى النور ، تستجدى رئاتهم دفعات من الهواء الطازج الذى يمكنهم من الراحة والاطمئنان ، والاستشراق ، ويبعث فيهم النشاط . ولكن الهـــواء الفاسد يحمل الروائح المتعطنة الكريهة ، مع الظلام الدائم الذى يخيم على الدرب النحيف ليل نهار .. قائما لا يرحل بفضل ذلك المنزل الأجرب الواقع عند نهاية الدرب ناحيـــة الشرق .. ذلك المنزل الذى ينتهى عنده الدرب .

ولم يكن هو نهـاية الدرب فقط ، ولكنه كان كذلك نهاية دنيا الأطفال .. أطفال الدرب من ناحية الشرق . بل ربما هو نهاية حياة كل من بالدرب من ناحية الشرق .. وماذا يكون الشمال والجنوب اذا كانت البيوت تتزاحم فى عنجهية الأقزام ، متطلعة تتطاول مع البيت الأجرب الطويل الذى يسد عين الشمس ناحية الشرق .

وماذا يكون الشمال والجنوب ؟!

انهما حدود الدرب من ناحية الشمال والجنوب . والغرب هو الطريق الموصل الى الحياة من خلف القرية كلها .. واى قرية هذه المتكاسلة المتبالدة .

لا أحد يدرى غير أن الأطفال فى هذا الدرب تعودوا الظـــلام حتى كادوا أن يألفوه وأوشكوا على ألا يملوه مثـــل أهليهم .. ومع ذلك كانوا يخشونه ليس بالعمق الذى يجعلهم يهلعون كما تهر الكلاب ، ولكنهم كانوا يجدون لذة فى الجوس خلاله عندما تزداد حلكة الليل ، ويزداد السكون الخناس الذى يوسوس فى صدور النـــاس . تلك اللذة التى تدفعهم بقوة الى اجتلاء سر ذلك البيت الأجرب الذى لا يمكنهم أن يصلوا اليه حتى يجتازوا رقعة واسعة من الوحل الملىء بالزجاج والأشـــواك التى تدمى أرجلهم العارية الصغيرة النضرة . وبعد أن يجتازوا الوحل الذى تلوكه أقدامهم ، ويمضغ بأضراسه الشوكية الزجاجيـة أرجلهم الغضة الحافية .

تبدأ رحلة الله أعلم بكنهها . لايعرفون عنها الا ما سمعوه من أهلهم . فالبيت أجرب متطاول شاهق يرهق النظر الى اجتلاء نهايته ، والغبار المحترق يطوقه بغير رقة أو جمال ، فيصنع مزيجـــا غير طيب .. ليس من الذكريات ولا من المهابة والوقار التى تضفى على كل قديم روعة وعظمة ، ولكنه مزيج من الخيفة والحذر والرعب وعدم الاطمئنان .. خاصة وأن باب البيت القديم يحيط به كفان قد طبعـــا باتقـــان على جانبى المصراعين .. كفان عملاقان لونهمـــا قاتم غطاهما التراب المحترق فجعلهمـــا أكثر رعبا وأشد اثارة .

وكلما حاول الأطفـــال الاقتراب من ذلك البيت المجهول سـمعوا صـــوتا مرعبا .. انه مزيج من انين خرير الماء وصليله .. ذلك الماء المحتدم والمصطدم بالجدران الداخليـــة للبيت ، فتزداد نفوسهم ذعرا وهلعا ، وتنقبض صدورهم خوفا وجزعا .. وتكاد تفلت أحداقهم من وجوههم رعبا ، وتلتصق أقدامهـم المرتجفة بالوحل رهبة ، فما يستطيعون جريا ، ولا يولون الادبار عدوا .. بل ربما يذهب الرعب بقلوبهـم الصـغيرة الندية الى الدرجة التى يجعلها تتجمد كما تتجمد بقع الدم على قطعة قماش .

ولكن نفوسهم العنيـــدة كالذباب ، الدائمة التطلع والتهافت على المعـرفة تدفع بموكبهم الصـغير الضـــاج الى اســتجلاء ذلك الشىء العجيب المريب الذى لا يدركون كنهه ولا يعلمون حقيقة سره ، الا مما يسمعونه ومما تتلقفـــه آذانهم الصغيرة المرهفة عن ذلك اللغـز الكبير الراقد فى عظمة الأسد محتـــلا نهاية الدرب ناحية الشرق .

وكثيرا ما حذر الآباء أبناءهم ، ونهوهم عن الذهاب ناحيـــة ذلك البيت الذى تعيش فيه روح « أبو صوابع » .. تلك الروح الشريرة التى احتلته وجعلتـــه مسكنا خاصا بها .

ولا أحد من الأطفال فى مكنته أن يسأل بيت من هذا ، حتى يذيع على زملائه واترابه عند اجتماعهم على المصطبة بعد العشاء سرا من أسرار ذلك اللغز الكبير الجاثم فى عظمة ورهبة فى نهاية الدرب ناحيـــة الشرق .. تلك الأسرار التى حيرت ألبابهـــم ، وبلبلت أفكارهم ، وضخمت تساؤلاتهم .

ولكن واحدا لا يلتفت الى الأطفال ،

لأنهم يجب أن يستمعوا فقط النصيحة فلا يذهبون الى ناحيـــة ذلك البيت الملعـــون .. ذلك لأن لعنـــــة روح « أبو صوابع » تدرك من يحـــاول أن يقترب من البيت .

وكان موكب الأطفال العنيد يقترب فى مكر وحذر من الوحل الممتد أمـام البيت ، ثم يصيخون ليسمعوا أنين الماء المتوجع وصليله المحتدم المصطدم بالجدران فى زمجرة وخشية غاضبة داخل البيت ، فتخفق قلوبهم الصغيرة بقشعريرة خـــوف .. ومـــع ذلك يتماسكون فى جلد لا اجبـار عليهم فيه غير اجبار حب الاستطلاع .

لقد صمموا على أن يســـمعوا ذلك الصوت عن كثب .. ذلك الصوت الذى يشبه صوت الطاحونة .. انه بلا شك صوت روح « أبو صوابع » ، وعنـدما يزداد خفقان قلوبهم ، أو يراهم رجل من أكابر أهل الدرب يضغط على صوته بكلمات مزعجة تجرهم ناحيـــة الغرب سراعى يتدافعون فى خوف .. يملأون الدرب صراخا عنيفا يحمله الهواء الفاسد العطن الى بيوت الدرب المعتمة .

وفى الأمسية التالية يملكون أفئدتهم ، وتكون رغباتهم فى الاستطلاع أقوى من الليلة السابقة ، ويكون تصميمهم أكيدا ثابتا لا يتزحزح ، ويتجه الموكب الصغير ضاربا « الظلـط » واحدة بأخـــرى فينزو من بينهمـا الشرار فى غضب ،

وهم موقنون أن الشياطين والجن لا يجرؤون على مواجهة الشرار أو النار. ويرتفع فانوسهم الصغير ناحية الباب الأجرب الكالح الاحمرار ، فيجدونه موصدا تمام الايصاد ؛ ويشاهدون الكفين على جانبى مصرعى الباب ، فيتدافعون كأنهم يحشرون فى جوال واحد ، ويتماثلون للانفتال فرارا .. ولكنهم يتساندون ثم لا يقدمون .

هكذا دائما .. وعلى مر الأجيال فى الدرب .. جيل بعد آخر يحاول أن يكشف عمق الأسرار .. أسرار ذلك البيت العجيب الرهيب .. ولكنهم لا يفلحون بل يفشلون ويورثون للأجيال اللاحقة خوفا أشد من خوفهم ، وغموضا أشد من غموض الأسرار . فلا يتجرأون للذهاب ناحية البيت برغم أنهم كبار ، وكذلك لا يتركون الصغار ليكشفوا أسرار ذلك البيت اللعين لأنهم صغار .

ولهذا كان ذلك البيت أسطورة يتناولها أهل الدرب كل حسبما يرغب ومن الناحية التى تعجبه. فيضفى عليها ثوبا داكنا من اللعنة .. أو حلة غابرة من الأسطورة الطريفة .. أو بصمة من الأهوال والرعب ، أو ألوانا من السخرية المتحفظة التى تخشى من شرور الأرواح والأشباح واللامرئيات النهارية .

كان البيت لأحد الملتزمين فى العهود الغابرة ..

كان رجلا غليظ القوام على نحو يتآلف مع ضخامة ما يمتلك من مال وأرض وعقار .. وكان يحكم ناحية تلك القرية حكم المتجبر المتسلط المتطفل فى دناءة وقحة . يحرم على عباد الله ما حلله الله .. ويرضى لهم بفتات موائده طعاما ، ونفايات شرابه شرابا .

كان يحبس كل من عليه دين له بدون طعام أو شراب حتى يسارع أهل المدينة لنجدته ، ولم يكن يرحم كل من اجترم جرما ، بل ربما علقه من أعقابه فى سقف حجرة خاصة حتى تطفح روحه عن بدنه وتفارقه ، فيطلقه الى بئر عميق مظلم فى أرض الحجرة ، فيذهب الرجل كما تذهب الأيام التى لا تعود .

ولم يكن يسمح الرجل لأى رجل قط مهما كان أن يلبس مثلما يلبس الجلباب الأبيض حرام كالكفر فمن لبسه فقد كفر فى حق ذلك الملتزم ، و « المركوب الأحمر » من لبسه فقد أخطأ فى البخارى، ومن لبس طربوشا عثمانيا فمثله مثل من رأى الحلال فى الحرام .

وشاء القدر لهذا الرجل المتحجر القلب ، المتصلب المشاعر ، الدموى النظر أن يقتلع ابنته من حديقة الحياة، تلك الابنة الوحيدة له فى هذه الحياة .. وتلك التى كانت بمثابة سميرته ، وخليلته ، وصاحبته ، وأمه ، وأخته ، وابنته . وبدأت أسهم القدر تمر الى قلبه الذى استعصى عليها سنينا .. ذلك الذى أمضى زمانا طويلا يغزوه فيقهر ، ويجالده فيهزم .. حتى بدأ يتفتت ويتحطم ويتهشم بمرور الوقت بعد أن اختطف القدر وحيدته .

وما كان « أبو صوابع » هذا الا خادمه الذى لا يخشى مكره ولا يرى فى طباعه

ميلا لاغتياله ، ولا يتوهم فيه طمعا فى ارضه أو ماله أو عقاره . وكان نعم الجلاد الذى ينفذ الأحكام بسرعة قادرة وبقدرة واثقة خارقة .. فكم أدلى برؤوس وأجساد فلاحين وعمال الى الأعماق الرطبة المظلمة المتعفنة لذلك البئر الموجود فى أرض تلك الحجرة الموجودة بذلك البيت .

وبدأ الملتزم ينهار رويدا رويدا .. ولكن انهياره كان بطيئا . وكان أهل الدرب يستردون بعض أنفاسهم اللاهثة فى عمل مستمر دائب على عجلة العمل اليومى فى حقول ذلك الرجل .. تلك الحقول التى كانت حقولهم ذات يوم ، والتى آلت اليه على هيئة ضرائب وديون وما شاكل ذلك .

ومات الرجل !! .. مات ! ومنذ ذلك الحين والبيت لم يفتح له باب .. وكان الناس يزرعون الأرض ، ويعملون بالحقول كما اعتادوا .. ولكنهم كانوا يدخرون المحاصيل، لأنهم كانوا يخشون عودة ذلك الرجل مرة أخرى .. ربما يعود فهو كالقطط بسبعة أرواح .. لقد مات كثيرا ثم عاد الى الحياة كثيرا فى أيامه الأخيرة .. ربما يعود !!

ولكنه ذهب ولم يعد .. ولقد مرت أعوام كثيرة دون أن يعود .. ومع ذلك فهم فى دهشة من أمر جلاده «أبو صوابع» أين ذهب ؟!! ذلك الرجل الذى أدركه الهرم والعمى والصمم .. هل ذهب الى سيده ليرقد بجواره ؟ ! أم أنه ظل سجينا فى هذا البيت ؟! واذا كان بالبيت فهل هو حى بنفس قوته الطاغية وقدرته الخارقة برغم هرمه وعماه وصممه .. أم انه قد تطرق اليه الضعف والهزال واهتصره المرض ؟! ذلك ما لا يعلمون عنه شيئا .. برغم أن روح الأساطير فى نفوسهم تؤمن بأن هذا الثعبان العنيد مازال باقيا على قيد الحياة ، يصرخ مهيبا فى أشباح الذين قتلهم بالصمت والسكون والاستسلام لرقدة الأبد .

أما البعض الآخر فيؤمن بأن الرجل قد مات وحيدا فى هذا البيت منذ أن اعتزل الحياة والأحياء على أثر موت سيده ، ولذلك فان روحه هى التى تزمجر بوحشية متعجرفة وقسوة متطرفة داخل الجدران .. جدران البيت العتيق ، بصوت كله أسرار يشبه صوت الطاحونة .

أما كفاه فقد طبعهما على مصراعى الباب كذكرى وعبره لمن تحدثه نفسه بالثورة أو التمرد على سيده «الملتزم» .. لقد كان الكفان لأبى صوابع . طبعهما باتقان على جانبى اطار الباب ..

كفان مغموسان بأول دم لرجل صرعه ذلك الرجل الشيطانى الجسد والطباع والخلق .

مرت الأيام سراعى ..

وعاد الأطفال شبابا .. عادوا من مدارسهم البعيدة فى القاهرة ..

وفوجىء الحى بهم ،وسمع لهم ضجيجا وثرثرة لم يتعودوا سماعها .. لقد سمعوهم يتناقشون فى أمور عظيمة لم يسمعوها من قبل .. سمعوهم ينكرون الظلمة والعتمة التى ترعرعوا فى أحضانها

ورضعوا من ظلماتها .. وسمعوهم يتقززون من تلك الرياح الفاسدة التى يحملها الهواء الى بيوت الدرب المتساندة فى عنجهية الأقزام .. وأحسوا بأن بين جنوبهم ريحا صرصرا عاتية ، وفى أحداقهم شرارا ونارا ، وفى أصواتهم رنين أجراس لها دوى ملتهب يزمجر فى حقد وغضب جبار .

وفرحوا !! .. فرح الناس .. أهل الحى السذج .. فرحوا فى طيبة ، لأنهم انتصروا .. انتصروا على الجهل .. لقد أصبح الأطفال : أطباء ، ومهندسين ، ومحامين ، ووكلاء نيابة .. الخ .. انهم شباب المستقبل الذين سيفخرون بهم .

فهموا هذا فقط .. ان العلم شباب ثائر ، وربيع دائم متجدد .. وحياة حرة لا تنتهى .. وفيضان لا يفيض ماؤه ، ولا يفنى خصبه . ان العلم يدفع فى قلوبهم آمالا عظيمة ترتفع بهم على أجنحة لا مرئية الى آفاق أحلامهم .

وتركوهم .. تركوهم وذهبوا ليناموا .. نعم ان النوم راود أجفانهم ، وحمل أعصابهم الى أعماقه .

أذن الفجر ..

ولم يعد الشباب من منتداهم بعد .. لاشك أنهم فرحون بلقاء بعضهم البعض .

ولكن الآذان الصاغية تسمع تصدعا يصحبه اهتزاز وتشقق .. ربما تكون أجراس .. أى أجراس هذه ؟!! أجراس ثائرة ، ودقات طبول حارة عابسة .. لعل الأحلام تنتقل بقلوبهم السعيدة الى آفاق بعيدة فى جولة لا نهاية لها .. ربما يتخيلون أنهم على أبواب الجنوب من أفريقيا .. أو فى بلاد الفاتيكان ..

اشياء مروعة حقا .. لا يمكن أن تكون هذه أوهام أحلام .. ان أذان الفجر يختلط بصوت الطبول ، مع دقات النواقيس .

انه شىء مريع بلا شك .. ولكن أجسادهم الواهنة فى الفراش تلك الأجساد التى لم يدع النوم جزءا فيها الا احتله تهتز كأنها قد أصيبت بمس كهربائى .. ان أصوات المعاول تمضغ أحجارا فى حقد وغيظ .. فى غير رحمة وبلا هوادة .. وسقوط أحجار قديمة تئن فى بؤس والم ومرارة وخشوع .

وخرج الحى عن بكرة أبيه .. خرج ليشاهد باب البيت الأجرب الطويل فاقدا مصراعيه .. انه علم مزعج ، وفأل سيىء .. ولكن أيديهم التى يفركون بها أعينهم غير المصدقة ، وأيديهم التى تلدغ أجسادهم تشير الى حقيقة لا خيال ..

لقد ركب الشباب رؤوسهم واندفعوا فى ذلك البيت الأجرب المتطاول الذى يسد عين الشمس ناحية الغرب .

وتملك الناس وهم ، وبدأت قلوبهم الفزعة تشعر بخوف يزدردها مرة وتزدرده مرة .. انه بيت الملتزم الذى عبده « أبو صوابع » .. أما كفى هؤلاء الطائشون .. أنهم تعلموا من ريع تلك الأراضى التى استردوها ، فماذا يصنعون — اذن — اذا عاد الملتزم ثانية يصحبه ذلك الثعبان اللعين «أبو صوابع»

.. انه سيمثل بهم شر تمثيل .. سيسحلهم .. سيشنقهم .. سيحرقهم ويذريهم فى الهواء .. كم سيلحق الحى من أذى وشرور وآلام وبؤس وشقاء .

وبدأوا يصرخون فى الشباب ليعودوا أدراجهم .

ومع ذلك لم يعد أحد .. لقد ركبوا رؤوسهم وانتهى الأمر .

وتدافع الناس خلال باب البيت كما تتدافع المياه من فوهة خرطوم .

كانت المياه تندفع من عين صدعت جدران البيت ونفذت الى صحن البيت وحجراته .. ووجدوا طريقا ممهدا يشق المياه حتى السلم .. انه طريق عجيب أشبه بطريق موسى عليه السلام .. وكان صحن البيت كئيبا معتما يهجس فى جنباته صمت أخرس بأصوات لا تسمع بآذان ولكنها تنطلق من داخل الانسان ، وتوحى اليه بأشياء غامضة .. ورغم ذلك تدافعوا الى الدور الثانى حيث أن الدور الأول لم يكن به ما يغرى باستطلاعه أو التعرف عليه .

على يمين الداخل قاعة واسعة يقبع فى صدرها كرسى ثقيل مزدان بأحجار كريمة ثمينة لا تقدر بمال .. وكراسى أخرى مرتبة كجناحى طائر متزن فوق شجرة .. عظمة .. كبرياء .. ثراء .. وتخمة .. تخمة فى الفنى .

وطفق الناس يتخطفون تلك الأشياء الباهرة التى لم يروها الا نادرا تلك التى أخذت بروعتها عقولهم ، وأفقدتهم رشدهم ، وأذهبت ألبابهم ، وبلبلت أفكارهم .

انها أشياؤهم .. هى ثمار جدهم وتعبهم وسهرهم ومرضهم وشقائهم .. وتركوا تلك الحجرة التى على يمين الداخل الى الردهة العظيمة الواقعة أمام السلم الرخامى للبيت العتيق .

كانت حجرة الأكل الى جوارها .. صحاف فى لون الذهب الوهاج .. صحاف وأطباق وشوك وملاعق متناثرة فى اغراء فى كثرة وازدحام . مناضد عاج .. كراسى وأرائك وثيرة .. انها جزء من كدهم ، وبعض ثمار كفاحهم .. وطفقوا يحملون كل ما تقع عليه أيديهم فى لذة ونهم المحروم .. انهم قد حرموا ذلك زمنا طويلا ..

وكانت الحجرة الأخرى هى حجرة نوم .. أسرة .. انها ليست أسرة .. انها واحة الراحة فى طريق المتعبين من الراحلين عبر الصحراء .. بل انها النبع الحلو بعد الجرى الدائم وراء السراب .. أسرة الراحة .. الراحة الأبدية .. هيا ارفعوا ما قد حرمنا منه زمنا طويلا ..

ولكن هناك صورة معلقة فى ثقة ، واطمئنان وفى تخمة وكبرياء وعنجهية طاغية .. وحملوا الصورة وتدافعوا .. كانت صورة الطاغية الملتزم .

ولم تكن الحجرة التالية الا الحجرة المظلمة ، كم يرقد فى قاعها المظلم العميق من أجساد فلاحين وعمال ظلموا بدون جريرة أو ذنب يمكن مؤاخذتهم به .. كان الطريق اليها يستدعى العبور من خلال سرداب ضيق يؤدى الى صحن أمام باب الحجرة ثم يؤدى هذا الأخير الى الباب ..

وفتح الباب .. كانت معتمة حقا ، والروائح الكريهة المتعفنة للأجساد المظلومة المتحللة تزكم الأنوف وتتسرب الى الرئات .. وبسرعة البرق تم لهم صنع مشعل .. أوقدوه ، وسلطوا اضواءه على الجدران الداخلية للحجرة .. كان ينهض فى وسطها « مقصلة » بقاعدتها ثقب كبير ينفذ من خلال أرضية الحجرة العليا الى الحجرة السفلى ويتسع لمرور أضخم الأجساد .. أما سقف الحجرة العليا فيتدلى منه حبه .. تحمل هيكلا ناخرا متعفنا ..

وسرت همهمة وهينمة بين الناس .. انه بلا شك جسد السفاح «أبو صوابع» .. واختلفت الآراء فيه .. وفضل بعضهم اشعال ذلك الجسد الشيطانى جسد الطاغية السفاح .. وفضل البعض اطلاقه الى بئر الضحايا وكفى أنه انتحر .

وكم كانت قلوبهم متسامحة طيبة رحيمة .. فأطلقوه الى القاع .. الى بئر الضحايا .. وسمعوا صوت عظامه المتخبط فى صوت تكسير الانتهاء الى الأرض ينتهى الى اسماعهم .

وهرعوا الى أعلى حيث يعمل الأبناء .. وأخذوا يدفعون الأحجار التى سدت السلم الى اسفل .. ثم أطلقوا صورة « الملتزم » من حالق ليرقد حطامها بين الأحجار .

وكان الصباح مشرقا جميلا .

ولأول مرة تنطلق اشعة الشمس فى حرية وفى غير قيد تنسل بيوت الحى من الظلام الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس ..

ولأول مرة تتسلط حرارة تلك الأشعة مركزة على الأوحال والأوشال وبقايا الماء المتعفن الآسن فيتماثل للجفاف بل ويستمر فى التبخر .

ثم يتجدد الهواء .

ويتجدد باستمرار دائم التجدد .

ويخرج الحى متطلعا من جديد الى المنزل الذى كان راقدا كالأسد ناحية الشرق يسد عين الشمس .. فلم يعد نهاية الدرب .. ولم يكن نهاية دنيا الأطفال من ناحية الشرق .

وخرج الأطفال يمرحون فى حرية وانطلاق كأشعة الشمس يجوبون الدرب ويخترقونه ناحية الشرق الى الأحياء الأخرى المتعددة التى تسلم كل منها الى الأخرى .

أما الكبراء فكانوا ينظرون الى الأطفال فى فرح غامر ، وعيونهم وقلوبهم تقول ناضجة بالسرور : « انهم الجيل الجديد .. الجيل الصاعد » .

محمد نبيل الغريب